**ضرورة العودة للسيرة النبوية لحل أزمات القرن الواحد والعشرين**

**قراءة في كتاب "سيرة الرسول الأعظم" للشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني"**

إعداد

أمين يهوذا

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**اللهم صل على الفاتح الخاتم وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم**

**مقدمة:**

أناخ المستعمر الغربي ببلاد المسلمين مستوردا معه أنظمته المتناقضة مع مرجعيتها الحضارية ومقوماتها الثقافية حيث تحولت سارية المفعول بعد خروجه منها، بل بأشد ما يكون، من خلال التبشير المسيحي والحداثة بأبعادها وأخيرا نظام العالم الجديد (العولمة) تحديدا بالقرن الواحد والعشرين، حيث تزامنت أحداثه مع ارتفاع معدل الجهل المنتشر والفقر المدقق والحروب الطاحنة من داخل بلادها، مما هيّأ لصداه جوا مناسبا ولكلماته آذنا صاغية ولأفكاره عقولا مقبلة عليها، ومن أخطر الأفكار التي يحملها نظام العالم الجديد هو "التوجّه إلى الإنسان وحده والانفصال عن الله، والتأويل على العقل وحده والانفصال عن توجيه الوحي، والتعلق بالحياة الدنيا وحدها والانفصال عن الحياة الأخرى"[[1]](#endnote-1) ونتج من هذا التناقض التمرد على الدين والتدين، بل أخذ الإنسان يعيش فوضى المعتقد والفكر والعلم وممارسة السلوك مما يزيد لأزماته تعقيدا، مما يُودِي بسعادته بل بحياته.

انبرت أقلام المفكرين والمصلحين من كل طرف لوضع حد لهذه الأزمات على الأقل إذا لا يمكن استئصالها من القواعد، لكن أغلبها أخفقت دون أن تحقق المطلوب، ومع هذا استطاع بعض منها وضع اليد على بعض مواضع الجرح وتشخيصها وتقديم العلاج الناجح، ومن هؤلاء المصلحين العالم الرباني الشيخ الشريف إبراهيم، حيث انطلق من خلال وجوب العودة إلى الفطرة لاستحقاق خلافة الله في الأرض و"الإسلام وهو دين الفطرة وإن الناس فيه سواسية كأسنان المشط ما داموا على الفطرة، وأن الإسلام ينفتح على كل الأمم والشعوب بشريعته العادلة التي تضمن لكل الناس على اختلافهم واختلاف أجناسهم تنوعَ مراتبهم ومواقفهم الحقيقية والاعتبارية"[[2]](#endnote-2) والسيرة النبوية ما هي إلا تمثيل للوحي بصورته الإسلام المتكامل على الأرض، ومن خلال إلقاء النظرة الفاحصة في كتاب "سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم" يُدرك بوضوح بأن الشيخ الشريف تحطّى المفاهيم العقيمة عن السيرة النبوية حيث أعطاها بُعد السنة بأوسع أبوابها التي تقابل القرآن، حيث اعتنى بسرد نصوص الوحي قرآنا وسنة في إثبات أحداثها، حتى تستأنس القلوب بها وتنقاد الأبدان لها وتأخذ منحى عمليا، لهذا يجب علينا الوقوف في سطور هذه الدراسة على تعميق معطيات هذا المفهوم الفريد والكتاب يحتوي على أربعة مجلدات، كل مجلد يحمل التسلسل التاريخي لهذه الحياة الكريمة وسرد الأحداث والتعليق عليها مع ربطها بالواقع المعاش، فالكتاب نقلة متميزة في السيرة النبوية، وستسير هذه الدراسة على النقاط التالية:

* كيف نفهم السيرة النبوية:
* ضرورة بعثة سيدنا رسول الله ومهمتهه
* أزمات القرن الواحد والعشرين وعرضها على السيرة النبوية
* الأزمات الداخلية (الذاتية)
* الأزمات الخارجية (الموضوعية)
* بعض الأبعاد الغائبة في تمثيل السيرة النبوية العطرة
* الخاتمة

**كيف نفهم السيرة النبوية:**

لقد خلّف النظر إلى السيرة النبوية من المنافذ الضيقة آثارا سلبيّة في تكوين المنظومات الروحية والعلمية والثقافية لدى المسلمين دون أن تتناغم مع الرؤية الإسلامية الشاملة عن الله والإنسان والكونن مما أحدث شرخا بين النص والعقل وبين العلم والعمل وبين الروح والمادة، ومع أكبر الإنجازات العلمية الفريدة من قبل الأصوليين والمحدثين عبر التاريخ فقد قامت مناهج بعضهم على حكر مفهوم الدين والتدين من خلال تضييقه في دائرة التشريعات والقوانين فقط دون النظر إلى سائر الآفاق، مما أنتج صراعا بين المدرستين على مدى قرون بين النظرة إلى الحكم أو الأدلة، فنتجت من ذلك مغايرة السنة للقرآن بدلا من كونها بيانا له، وبالمقابل توسعت مجالات التأويل البعيد المناقض للنصوص، مما خلّف أثّرا سلبيا على مفهوم السيرة النبوية من خلال استغلالها لمواقف شخصية كما حدث لكثير من تيارات الحركات الإسلامية المعاصرة، أو أنها سيرة فوق حدود البشرية فأُحيطتْ بسياج من القداسة التي تسدّ عن الاقتداء بخطواتها كما هو الحال مع بعض التيارات المتصوفة، بل بدأ يترسخ بين العامة أنها مجرد قصص مسلية لا تمس الدين والتدين.

ولفظ السيرة يعود لغويا إلى "السنة والطريقة أو الحالة التي يكون الشيء عليها، قال تعالى(قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) طه21[[3]](#endnote-3). ويقصد بها اصطلاحا "ذكر ما كان عليه النبي صلى الله عليه و آله وسلم من الأقوال والأفعال والتقريرات -حقيقة أو حكما- والصفات الخلقية والخلقية حتى الحركات والسكنات يقظة أو مناما[[4]](#endnote-4)" إذًا فالسيرة بهذا المفهوم تشمل السنة عند المحدثين والأصوليين والفقهاء، فهي العمل المتبع الذي صار عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته.

تتبيّن لنا بوضوح كيفية جدلية العلاقة بين السنة والسيرة من المنظور اللغوي والاصطلاحي، كما ترسخ عند السلف الصالح، بأن السنة هي الجانب العملي والتطبيقي لحياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، فهي وجه من أوجه السيرة، ومن خلال تقصّي كتب السيرة النبوية يفهم بجلاء أنها أعم وأشمل من السنة من حيث الامتداد الزمني والمكاني والكمي والكيفي فهي مدعاة لنزول القرآن والبيان عنه تشريعا وسلوكا وتمثيلا لمعالمه، ولعل هذا المفهوم يخرجنا من كثير من الورطات التي يتقوقع فيها أفهام حيث تغطّي بالإضافة إلى الجانب التشريعي الجوانبَ المتعددة التي تحيط بكليات الدين والتديّن والتفاعل بين الإنسان وأخية الإنسان والكون والتعانق بين الدنيا والآخرة.

والسيرة النبوية أهم السبل لفهم مراد الله من وحيه المنطوق المسطور المحفوظ في الصدور، وهي الوحي العملي التطبيقي، ومنهج متكامل للحياة يبين الجانب الديني والفكري والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والعسكري والإداري فرسول الله قرآن يمشي على الأرض مصداقا لإجابة السيدة عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه " كان خلقه القرآن"[[5]](#endnote-5)، وهي أيضا تطبيق لمفهوم الإسلام الشامل باعتباره منهج حياة[[6]](#endnote-6)، فقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرة وذكر الله كثيرا: الأحزاب21).

**ضرورة بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومهمته:**

يَستلهم هذا العنوان أبجدياته مما سطّره قلم الشيخ الشريف في كتاب"سيرة الرسول الأعظم" المجلد الأول بعنوان (ضرور بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأهميتها) حيث استهلّه قائلا: "ولما علم الله انحراف الناس عن سنن الفطرة واتباع تزينات الشيطان لهم سبل الضلالة بعد استخلافهم في الأرض بعد فترة آدم عليه السلام قضى ببعثة الأنبياء والرسل والمصلحين من أهل عنايته جودا وكرما وكان ذلك من الضرورات"[[7]](#endnote-7) يفهم من النص ثنائية الفطرة والانحراف عنها، والفطرة هي الأصل" فطرة الله التي فطر الناس عليها" والانحراف عارض، لكنه يدخل في معركة شرسة مع الفطرة لتضليل الإنسان، والفطرة مدعومة من قبل الله، والانحراف مدعوم من الشيطان وأعوانه، فأرسل الله الأنبياء والمرسلين ليرسموا معالم هذه الفطرة وأسسها وبالمقابل ليرسموا معالم الخروج عليها، وفي ضوء هذا كلما كان المسلم أقرب إلى معالم الفطرة كلما كان أقرب إلى الأنبياء والمرسلين وإلى الله فهي معيار توازن الكون برمته.

فقد سرد الشريف ثمانية أمور تحت ضرورة بعثة الأنبياء والمرسلين وهي جملةً "تحقيق العبودية الشاملة لله وحده، والتبليغ عنه، والتعليم والبيان لكتابهم وتزكية النفوس وتصفيتها عن الرذائل، وربطها بذكر الله حمدا وتسبيحا، وخصوصية الاصطفاء والانتقاء، والقدوة الحسنة والكفاءة والاحتواء"[[8]](#endnote-8) هنا تحدث الشريف عن عموم الأنبياء والمرسلين، وفي أماكن متفرقة تحدث عن ضرورة وخاصية بعثة هذا النبي الخاتم وهو المعني بالنبوة والرسالة وما من نبي إلا له تبع، وهذه الرسالة الخاتمة هي المهيمنة على كل الأديان، فقد اختاره الله واصطفاه وفضله لينهض بهذه المهمة الصعبة، قائلا: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون: سبإ 28) والذي ينهض بمهمة البشارة والنذارة لا بد أن يكون النموذج الأعلى على مستوى الإنسانية والبشرية حتى يتسنى الاستئناس به والتقرب إليه وتصديقه والأخذ عنه وتمثيل أوامره.

وتشكل النذارة جانبا يستحيل عليه الخطأ والاجتهادات البشرية حتى لا يُتّهم بعدم المصداقية ليكون محل التأسي والقدوة والاقتداء، لهذا كان سيدنا رسول الله الخليفة الأول المبلّغ عن الله والإنسان الأقرب إليه والنموذج السوي للبشرية، تصديقا لما يقوله الصحابي عبد الله بن عمرو " كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق" [[9]](#endnote-9)وأشاد الحق سبحانه وتعالى بهذا قائلا(لا ينطق عن الهوى إلا هو وحي يوحى: النجم3-4). "لأن سيرته نبراس للبشرية في كونها التجربة الكبرى المشتملة على تجارب سائر النبيين والمرسلين وهي تمثل كل سنن وسير الأنبياء الذين سبقوه، فنرى فيه نوحا وصبره ومثابرته وإبراهيم وتبتله وطاعته، وموسى وكفاحه وحرصه على قومه، وعيسى وزهده وكفاحه لربط قومه بحقائق الدين لا بمظاهره وقشوره، فالقرآن خلاصة الوحي الإلهي والسنة خلاصة سنن الأنبياء وتجاربهم مع قومهم"[[10]](#endnote-10)، بناءً على هذا نالت شخصية سيدنا رسول الله الإعجاب المتناهي حتى من غير المسلمين المنصفين بل يرون الخلاص ما نحن فيه بالرجوع إلى خطواته الفريدة حتى ظهر من يقول "إن محمدا يصلح الدنيا بين حسة كوبا الشاي وهو منقذ الإنسانية"[[11]](#endnote-11)، وهذا فضلا عن المسلمين.

كانت مهمته فوق مهمات الأنبياء والمرسلين فهو بالإضافة إلى ما ذكر، فهو معلم بكل ما تعنيه الكلمة " إنما بعثت معلما"[[12]](#endnote-12)، هذا ما جعل أمته أمة التعليم والقراءة، فهو يعلمها اتباع شريعته والاقتداء بسنته والاهتداء بهديه والتأسي بسيرته[[13]](#endnote-13)، ورغم أننا نعيش عصر الانفجار المعرفي يظل معلما فريدا "تنتهي عنده العلوم فكأنه جالس أمام شاشة يشاهد حميع الحوادث حتى يوم القيامة"[[14]](#endnote-14) فهو آخر صورة ينتهي إليها التعليم والتربية، حيث يمكن أخذ كل شيء عنه ما عدا ما اختُصّ به، على خلاف سائر الأنبياء والمرسلين، فمن ثَم كان كتابه مهيمنا على كتبهم، والهيمنة تعني الحاكمية وتعني إزالة كل ما تعرض له تراث الأنبياء من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويلات الجاهلين والمغترين وإعادة تقديمه صادقا منقى من ذلك كله، وبه توحدت المرجعية البشرية[[15]](#endnote-15)، فقد جعل الله نبوته ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل لأن البشرية قد تهيئت لاستيعاب مفردات الخطاب النهائي الموجه إليها لتجمع بين الكتاب المسطور وهو القرآن والكتاب المنظور وهو سيرة سيدنا رسول الله في إنزال الوحي، والنظر إلى آفاق الكون من خلال توجيهاته الربانية، ومن ذلك تحريم الخبائث ووضع الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة فهي مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، حسبما ذكر القرآن الكريم في آية الأعراف (157) " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون"

كل ما ذُكر يُشكل ضرورة بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفهم مراد الله من وحيه المنطوق من لدن آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والصلام جملة وتفصيلا والدفاع عنهم والإثبات أنهم خرجوا من النسيج الموحّد الذي لا يقبل التجزئة، وبما أن فترة رسالته تمتد قرونا وقرونا إلى قيام الساعة، ومع تطور المفاهيم وتغيرها فإنها لا تنفلت من عقال منظومته الدينية الكلية الشاملة، ومن هنا ندرك ضرورة ماسة وملحة للعودة إلي السيرة النبوية العطرة لفهم كليات الدين ودقائقه ومراحله وإنزاله على الواقع "من ولادة صاحب السيرة سيدنا رسول الله ووفاته مرورا بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره وانتصاره على عدوه وتظهر بوضوح أنه كان زوجا وأبا وقائدا ومحاربا وحاكما وسياسيا ومربيا وداعية وزاهدا وقاضيا، وعلى هذا، كل مسلم وغيره يجد بغيته فيها"[[16]](#endnote-16)

**أزمات القرن الواحد والعشرين وعرضها على السيرة النبوية العطرة:**

استرشادا بما سطّره الشريف وقلبه يقطر أسى مما آل إليه أمر أمة سيدنا رسول الله وخروجها عن معالم الفطرة التي رسمها لها بدقة ووضوح بالغتين منحرفة عن جادتها مما جعل نظام الكون بقيادة الإنسان المتنّكر على الفطرة يختل ويضطرب حيث يقول" وكل عصر يشهد ابتلاءات مغايرة لسابقاتها حتى طالعنا القرن الحادي والعشرين بدواهي لم تشهدها الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل لها مثيلا، إنه لمنعطف خطير تمر به الأمة، فقد تكالبت عليها سائر الأمم بالظلم والاعتداء فاشتد عليها المصائب وتتابعت عليها النكبات من الداخل والخارج، فداخليا نجح العدو متنكرا تحت مسميات مختلفة يعمل بمكائد متنوعة من أجل تفكيك وحدة المسلمين وزرع بذور الفتنة بينهم، واحتل نظام الوحدة بين جميع طوائف الأمة وطبقاتها"[[17]](#endnote-17) هذا الشاهد يحمل أبعاد هذه الأزمات التي نحن بصدد دراستها وتشخيصها وعرضها على السيرة النبوية بحثا للحلول الناجعة لها، فهي إما داخلية أو خارجية، إما ذاتية أو موضوعية، ويمكن إدراجها كلها تحت الصنف الأخير: وهو الأزمات الذاتية القائمة على اختلال المنظومة الروحية والعقلية والفكرية والنسيج الداخلي لبناء الأمة القوية الموحدة، والأزمات الموضوعية التي قامت نتيجة الأزمات الذاتية حيث تتمثل في اختلال رباط التناغم بين المسلم وأخيه في الإنسانية مما يكاد يضرب حجابا على كليات حقيقة التدين ومنظوماته القيمية التي طالما هي كفيلة بإخراج العالم برمته من أزماته التي تمزقه شذر مذر.

**الأزمات الداخلية (الذانية)**

تتمثل هذه الأزمات على مستوى كيان الأمة الإسلامية من داخلها انطلاقا من منظومتها الروحية والعلية والفكرية من أفرادها وانتهاءً ببناء نسيجها الداخلي كأمة، والجدير بالذكر أن هذه الأزمات متداخل بعضها على بعض ومتشابك، لكن انحلالها يبدأ من النفس أي من داخل الأمة جريا على قاعدة قرآنية (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:الرعد11) وحال الأمة الإسلامية اليوم في بوتقة التغيير والإصلاح والمشاركة الفاعلة في صناعة المسار العالمي كحال رجل على وجهه عيب وحاول إزالة العيب من المرآة التي أمامه لا من صورته الواقعية، في داخل السيرة النبوية نظام متكامل لحل أي خطوة من هذه الأزمات.

**1- المنظومة الروحية والعقلية والفكرية والنفسية**:

يشهد الواقع تراجعا لمعطيات الروح والعقل والفكر والنفس وانعكاساته على السلوك، حيث اختلف الناس بين من يدّعي الارتماء بأحضانها ممتصا منها غدران الفناء في ذات الله دون أن يبقى مع أوامره ونواهيه، ويأتي بالعجائب والغرائب ويحولها العامة كرامات وكشوفات... وبين من يخوض خضم الإسلام السياسي حيث وجد نفسه مضطرا بأن ينافق ويتلوّن كالحرباء ليحقق منشوده على حساب قيمها، وبين من ينفي أثرها جملة أو تفصيلا بادعاء أنه عقلاني لا يصغي إلا لما يملي عليه عقله القاصر عن إدراك حقائق عن نفسه فضلا عن حقائق أخرى، فقد كان لهذا التناقض أثره السيئ في اضمحلال كليات القيم الإيمانية من خلال تعطيل عمارة الأرض وتشويه صورالتدين وتضليل واقعه السلوكي وتغييب آثاره، وارتفاع فكرة التمرد على الدين أو الخروج عليه، مما ساعد على ظهور العلمانية وانتشار الإنسانوية، وبأن هذه التوجهات الحديثة لا تستند إلى المرجعية الربانية العليا فهي إنسانية المرجع لهذا تنطلق بعيدة عن السقف الروحي والفضاء النفسي، فضلّتْ عن الرشد والهداية "والهداية لا تتحقق إلا باستقامة القلب وسلامته من الأمراض الباطنة التي تكون سلبا على الإنسان فينحرف عن الصراط المستقيم فتعمى بصيرته"[[18]](#endnote-18)

وهذه المنظومة هي المحطة الكبرى لسعادة الإنسان ورفاهيته، وإرجاعه إلى الفطرة، وقد عبر الصادق المصدوق عن أحد مظهر الروح قائلا: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[[19]](#endnote-19)، لهذا كان لها حضور أساسي في كليات الدين والتدين والسيرة النبوية تجسد هذه الحقيقة انطلاقا من قوله تعالى(قل إن صلاتي ونسكي ومماتي ومحياي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسامين: الأنعام:162-163) ويقول الشريف في ضوء هذا "شبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما، وما رئي ملاحيا ولا مماريا أحدا حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة"[[20]](#endnote-20)

فقد حمّل سيدنا رسول الله على نفسه أشق الطريق في الوصول إلى هذه الغاية، لتحقيق العبودية الشاملة لله عز وجل"لأن السبب الأساسي في إيجاد الكون وخلقه هو العبودية لله وتحقيقها وتأكيدها، والعبادة الحقة الصحيحة لا تستند إلا على المعرفة بالله"[[21]](#endnote-21) من جانب قيامه بالفرائض والواجبات خير قيام فقد كان "متعلقا بالله والانحياش إليه والدليل على ذلك اهتمامه الدائم بالله، وبأمر الله، والتزامه الدائم والمطلق بجميع وسائل القرب من الخالق جل جلاله، من ذكر وعبادة وتعظيم وإجلال لشأن الحق، فهو يصوم حتى يقال إنه لا يفطر، ويصلي حتى تتورم قدماه، شكرا لربه، وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، ويجود على الناس بما لا يشتهيه أحد، ويختلي بربه ويبكي خشية له ويتأمل في آياته المسطورة والمنظورة[[22]](#endnote-22).

لا تتناقض هذه المنظومة مع بعضها البعض فهي نسيج متكامل فليس العقل ضد الروح فضلا عن الوحي والإيمان فالعقل ميزان يرفع الإنسان إلى سماء الروح، فكلما صادفت الروح عبر مسيرها إشكالية استحضرت العقل مستبصرة لتعاود مسيرها، وعبر هذا التعانق بين الروح والعقل تتحقق العبودية الشاملة لله وحده في كل شيء، وتنتظم وظائف النفس الإنسانية في إطارهما حيث توجيه قوة الغضب والشهوانية توجيها يتوافق مع فطرتها[[23]](#endnote-23)، كما علمنا سيدنا رسول الله من سيرته حقائق الروح ما يرفعها منقادة صوب خالقها كذلك علمنا ما ينحط بقدرها قائلا "إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فيحمد الله، ومن وجد غير الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[[24]](#endnote-24)، وأما عن العقل فقد هيّأ له الله من تعاليم سيدنا رسول الله فضاء يتحلق فيه والسقف الذي ينتهي إليه ويقول في ذلك "إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول الله فيقول من خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه"[[25]](#endnote-25).

تجسدت هذه الحقائق في سيرته العطرة من خلالها وضع المنظومة في سياق التوازن، وعندما سأل بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادته" فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[[26]](#endnote-26) وبما أن الحديث يؤكد لنا، شدة تقربه إلى الله، إلا أنه يعطينا درسا في التوازن بين معطيات الروح والنفس والجسد رحمة وشفقة بأمته.

فقد تربت النواة المسلمة الأولى على هذا السيرة العطرة بداية بدار الأرقم بن أبي الأرقم التي احتضنت تسعة وثلاثين صحابيا قبل أن يكون عمر بن الخطاب تمام الأربعين، ومرورا بالأحداث القاسية التي صمد أمامها الصحابة وانتهاء بفتح مكة إلى انتقاله إلىى الرفيق الأعلى، "جعل الناس متعلقين بالله وحولّهم جميعا في عصره إلى تحقيق علاقتهم بالله وتعاملهم معه وتجويد عقيدة التوكل عليه والحضور معه تعالى بمراقبتهم له في تعاطيهم مع كل الأحداث، تأثرا بحياة نبيهم الذي كان شأنه كله منحصرا في ذكر الله على جميع الأحيان"[[27]](#endnote-27). ويتكون سواد فئة هؤلاء الصحابة من الشباب الذين في مقتبل العمر وفي بيئة حديثة عهد بالجاهلية حيث كان كل شيء مستباحا، ومنطق الفطرة معطلا والعدو متربصا، وقوة الاستكبار من الفرس والروم مهددة، فشق لهم الدرب واستووا عليه دون أي اعوجاج واستطاع بفضل الله وتوفيقه أن يردهم إلى الفطرة من خلال بناء ذاتيتهم متكاملة وتكوين هويتهم القائمة على توحيد المعبود ووحدة البشر وتسخير الكون وفق مراد الله، فاستطاعوا إقصاء أي معبود من دون الله وكسر صنم التفرق.

كثيرا ما تعاني الأمة الإسلامية اليوم من انحراف الشباب الذي لا تجد له مثيلا من قبل، انحراف على كل المستويات نتيجة سيول الأفكار الهدامة من تقديس المادة وتأليه الإنسان ونسبية الأخلاق وحرية التعبير وممارسة السلوك، بناءً على اجتثاث الهوية المتؤصلة فيهم والبناء على أنقاضها هوية الفوضى والتذبذب والاضطراب من نظريات فرويد ونيتشة وماركس وساتير، ومدارس الاشتراكية و الرأسمالية والعلمانية والإلحادية والإباحية وغيرهم الكثير، نتيجة غياب حاملي رسالة صاحب السيرة العطرة أو تغييبهم عن المنصة الفكرية مما أحدث فراغا وشرخا شديدين في منظومتهم الروحية والفكرية والنفسية، ويرى الشريف في أن حل هذه الأزمات التي تعرضنا لها يتمثل في "دور الداعية (الخليفة عن رسول الله) في القرن الخامس عشر الهجري(القرن الواحد والعشرين) - في هذا العالم المتقلب - في الطموح الذي لا يعرف الحدود في العبادة والاستعداد لتحمل أعباء الدعوة والتجديد، في إيجاد تحول شامل في واقع الأمة الإسلامية، أمة القيادة، ذلك لما جد في أجواء العالم الإسلامي في جميع القارات من تحولات خطيرة في الاتجاه العكسي، وهو أمر يشكل تحديا سافرا لهذا الدين العظيم في عمق تاريخه وأصالة ضربه في جذور قلوب أبنائه"[[28]](#endnote-28) ويؤكد الشريف هذا المعنى في صفة الداعية الذي يتولى الأخذ بأيدي الشباب والأمة الإسلامية جمعاء "أن يكون وارثا محمديا حقا، وأن يكون مثالا يحتذى، وقدوة حسناء لأتباعه وأنصاره، وبقدر قوته وصلته بالله تكون قوة تأثيره فيهم وعيا وتماسكا وتوحدا، وبقدر هذا التأثير تأتي الثمار، وتأتي النتائج، في مجال الإصلاح والتجديد والانتقال بالأمة من مستوى التبعية والانحطاط والضعف إلى مستوى القيادة والاستقلالية الكاملة، والحرية والخلق والإبداع"[[29]](#endnote-29)

**2- النسيج الداخلي لبناء الأمة القوية الموحدة:**

تفتت الأنسجة الداخلية للأمة الإسلامية نتيجة وهن وضعف المنظومة الروحية والفكرية والنفسية لها، حيث تعيش حالة من التفرق والتشرذم، واستطاع عدوها أن يستغل هذه العوامل ليبقيها تزداد تفرقا في أتفه الأشياء، وانتزاع الثقة من قلوب عوامها حول علماء الدين الربانيين وإفساح المجال أمام كل من هب ودب ليعتلي منصة هؤلاء العلماء وينصب نفسه النائب الحقيقي لسيدنا رسول الله، واختلت الموازين وانقلبت رأسا على عقب، فتحول التدين مظهرا فقط على حساب تلك المنظومة وتكفير المخالف أو تبديعه أو تفسيقه موضة لها رواج في كل الأصعدة، مما جعل المستوردات الخبيثة الغربية تجتاح أسواق أخلاقيات وسلوكيات العالم الإسلامي تحت مفردات التعليم والتعلم والثقافة والتحضر، ورُوّجت العمالة الخائنة واعتُرفت بالمنظمات الحقوقية ضد التدين، والقناوات الفضائية تبث وتروج الانحلال الأخلاقي والانحراف السلوكي باسم الفن فتعقدت منظوماته الأسرية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والقضائية. وقد قام نتيجة لهذا السيل من الأزمات التطرف في الفكر والسلوك والإلحاد كرد فعل، وتخريب المخدرات وتعاطيها بين أفراد المجتمع ذكرا وأنثى، شبابا وشيوخا، قادة ومقودا، ونهب أموال الناس وسلب حقوقهم والتفكيك الأسري وانتشار الطلاق وزنى المحارم، والزواج المثلي، وغيرها من السلوك الداخل عليه.

وقد عالجت السيرة النبوية العطرة كثيرا من أمثال هذه الصور من الانحراف بمبدإ التسامح بين النسيج الاجتماعي من خلال تحويل القلوب نقية وصافية، يقول الشريف عن هذا الصدد "اقتضت إدارة الله تعالى أن يكون قلبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم طاهرا نقيا خاليا من الأحقاد والضغائن حتى قبل البعثة، فكان دائما يعفو عن هفوات الناس وزلاتهم، وكان ينظر دائما إلى المستقبل جاعلا كل ما يوجب التشفي والانتقام وراء ظهره فتهيا بذلك لحمل أعباء الرسالة، وقال في آخر أيامه "ألا إن دم الجاهلية موضوع، وأول دم أبدأ به دم عمي الحارث بن عبد المطلب"[[30]](#endnote-30) والتسامح من مبادئ الإيمان ويسهّل مهمةَ الوصول إلى الفهم الصحيح بين أفراد المجتمع المسلم ويقول الله تعالى(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم"فصلت:35)، كما يترسخ أيضا بتعميق معطيات الحوار الهادئ والشورى الهادفة لتقرير المسير المشترك على مستوى البيوت والأحياء والمجتمعات، فقد عمق سيدنا رسول الله معطيات الحوار مع كل الأطراف من أزواجه وأبنائه وبناته وأصحابه بأصنافهم شيبا وشبابا، ورغم أنه صاحب الوحي والسداد من عند رب العالمين فلم يأل على هذه الخاصية فقط بل كان متفاعلا مع نسيجه الاجتماعي وأنه واحد منهم وجزء لا يتجزأ.

دعونا نستمع إلى هذا الحوار المحمدي مع شاب من شباب الصحابة وهو حديث عهد بالإسلام، يروي أبو أمامة القصة: إن فتى شابا أتى النبي فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (ادنه) فدنا منه قريبا، قال: أتحبه لأمك؟ قالك لا والله جعلني فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك؟ قال:لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك فتى يلتفت إلى شيء"[[31]](#endnote-31)، انظر إلى الحوار المقنع مع وابل الرفق والرحمة والعطف "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"[[32]](#endnote-32)

والمآخاة الصادقة القائمة على النصيحة والشفقة والرحمة آصرة من أهم أواصر تماسك النسيج الاجتماعي ووحدته وبالتالي تحافظ على سلامته وسعادته، ففي السيرة النبوية شواهد كثيرة حية تؤكد صحة ما يقال، فإن بقاء الصحابة نسيجا موحدا ويدا واحدة على من سواهم كفيل بهذا، وقد قامت المآخاة الفريدة من نوعها فور هجرته إلى المدينة المنورة وامتزج المهاجرون مع الأنصار وغيرهم[[33]](#endnote-33)، وخلاصة القول أن النسيج الداخلي للأمة لا يقوم إلا على التعاون على البر دون التعاون على الإثم والعدوان.

**الأزمات الخارجية (الموضوعية)**

ذُكر الشريف مسبقا بأن الإنسان في خضم هذه الحياة تتجاذبه ثنائية الفطرة والانحراف، وبَعث الله الرسل والأنبياء لرد الناس إلى معالم هذه الفطرة، وبالمقابل يتخاصمهم الشيطان وأعوانه، وعلاقة المؤمن برسالتهم هو القيام بمهمتهم بعلمه -إن كان عالما-، وبسلوكه وعمله وخُلقه من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وخدمة الناس بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية والعرقية والفكرية، ليبث فيهم مقتضيات الخلافة الربانية التي أنيطت به بصفته إنسانا وبصفته تابعا للنبي الأمي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ليعكس رسالته الخالدة، ومن هنا تنطلق عالمية سيرته العطرة وشموليتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، إذًا فهي منطلق التغيير الإيجابي، المنطلق الذي نعرض أنفسنا عليه ليكون حل أزماتنا وفق اقترابنا إلى هذا النموذج الرباني، وقد ذكر ذلك سيدنا رسول الله بطريقته الأخاذة الفريدة قائلا(مثل القائم في حدود الله والواقع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا)[[34]](#endnote-34)،فعبارة (أخذوا على أيديهم) أي منعوهم عما يريدون تعني التغيير بالتي هي أحسن، بالحوار والإقناع والسلوك السوي والعمل من أجل إيجاد أرضية مشتركة.

تنطلق هذه المهمة صوب التصدي لمدارس الكفر التي تروّج عالميا من خلال الحوار والمجادلة البناءة ورصد ما تموج به لعرضها لقلوب تبحث عن الحق والحقيقة، وفي هذا الصدد تعرض الشريف لهذه المدارس قائلا " أصناف الكفر أربعة: صنف ينكر الصانع الله أصلا وهم الدهريون، وصنف يقر بوجود الصانع وينكر توحيده وهم الوثنية والمجوس، وصنف يقر بالصانع وتوحيده وينكر الرسالة فهم قوم من الفلاسفة وصنف يقر بالصانع وتوحيده والرسالة في الجملة وينكر رسالة سيدنا محمد وهم اليهود والنصارى"[[35]](#endnote-35) فقد واجهت السيرة كل هذه الأصناف بداية بالصنف الرابع الأخير لوجود أرضية ممشتركة

مشتركة ومن خير الشواهد وثيقة المدينة التي قام بتحليلها مولانا الشريف تحليلا بناء وكذلك وفد نجران الذين جادلهم سيدنا رسول الله بالحسنى بمسجده الشريف بل أذن لهم بتقديم صلواتهم فيه[[36]](#endnote-36)، ومن الصنف الثاني والأول فتح باب الحوار العقلاني معهم ودحض حججهم الواهية وفي القرآن والسنة ما يشفي الغليل ومع الصنف الثالث القيام بالدعوة الصاقة لهم لشدهم صوب الإسلام كما حدث مع مشركي مكة والفرس.

ومن ذلك التركيز على الرسالة وإيصالها واجتناب ما يوجب التشفي والانتقام للعدو والمخطأ أو غير ذلك ففي قصة إسلام بني ثقيف خير نموذج، لكن يجب أن ننطلق من محورها، فهؤلاء وفد بني ثقيف من الطائف الذي لجأ إليه عام الحزن - العام العاشر من البعثة - بوفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة مع اشتداد أذى قريش حيث خزله أشراف ثقيف فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وقفوا له صفين على طريقه وكلما مر رسول الله بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموهما، وكلما قعد على الأرض تألما أخذوا بعضديه الشريفين ويقيمونه وإذا مشى رجموه بالحجارة وهم يضحكون[[37]](#endnote-37) وعند قدوم رسول الله من تبوك وإسلام عروة بن مسعود الثقفي، ورجوعه إلى بني ثقيف وقتلهم له، ومع خوفهم ممن حولهم وفدوا إلى المدينة متغطرسين ومكثوا أياما واشترطوا شروطا ولم يقبل منهم رسول الله سوى الإسلام، فلم يسلموا إلا بعد مدة طويلة يراجعون رسول الله، وكانوا في بداية إسلامهم لا يأتون الصلاة فقال عمر: يا رسول الله إنهم لا يصلون، فقال النبي "دعهم ياعمر فإنهم سيستحيون ألا يصلوا"، وفي الغد صلوا بغير وضوء فقال عمر صلوا بغير وضوء، فقال: دعهم فإنهم سيتوضؤون، واليوم الثالث غسلوا وجوههم ورؤوسهم وأعناقهم وأيديهم إلى المناكب وتركوا الأرجل، فقال عمر إنهم فعلوا كذا كذا فقال رسول الله دعهم فإنهم سيتوضؤون، وفي اليوم الخامس فغسلوا البطون والظهور"[[38]](#endnote-38)

وقد أرست السيرة النبوية مبادئ التسامح بالنسبة للمسلم، وأنه يسهل مهمة الوصول إلى الفهم الصحيح للآخرين من الديانات الأخرى والشعوب الأخرى، ما يحقق التعايش السلمي بين جمع الشعوب وهو ما يفتقر إليه العالم المعاصر، والتسامح والعفو من خلقه صلى الله عليه وآله وسلم، وعند فتح مكة المكرمة قال لكفار قريش أهل الشرور والأذى له ولأصحابه، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ما نظن إلا خيرا، قال: أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته(قال لا تثريب عليكم اليوم، يفغر الله لكم وهو أرحم الراحمين:يوسف 92) اذهبوا فأنتم الطلقاء[[39]](#endnote-39)، وقد تحدث الشريف كثيرا في الجزء الثالث والرابع من الكتاب عن الإرهاب والتطرف الذَين يقضّان مضاجع العالم وانعكاساتهما على تشويه صورة الإسلام والمسلمين ومحاربته داخليا وخارجيا وهو منه براء وأرجع رواجهما على أحادية الفكر وتردي الأوضاع الإقتصادية وفساد الحكومات وعدم جدية الدول الإسلامية لاستئصالهما من الجذور، بل واستخدامهما لتصفية الحسابات مع المعارضين لحكوماتهم، بناء على هذا قدم الحلول من السيرة النبوية حيث قام بذكر حرمة المسلم وأبعاد العلاقة مع غير المسلمين وأخيرا يذكر "أن الإسلام هو دين السماحة، وأنه يلجأ للجهاد فإنه لا يكون إلا مضطرا ولأسباب جوهيرة توجب ذلك وليس في ذلك عدوان أو تشريع للاعتداء على المقاتلين من غير المسلمين"[[40]](#endnote-40)

**بعض الأبعاد الغائبة في تمثيل السيرة النبوية العطرة**

بالنظر العام إلى بعض ما سطره الشريف يدرك بوضوح محاولة ربط السيرة بالمواقف والأحداث الجارية، كأنه بذلك يستحضر بعض الأبعاد التي قلما تلتفت إليها أقلام كُتّاب السيرة النبوية، لهذه الأبعاد أهميتها وخاصيتها نظرا إلى أنها الحلقات التي يجب أن نتحرك من خلالها لبناء شخصية التدين القائم على استلهام كليات السيرة النبوية بمعطياتها السكونية والحركية، ومن ذلك: "كون الإسلام دين نظام وشريعة سمحة محكمة ميزانها العدل والنصيحة تحافظ على الديانات والأنفس والعقول والأنساب والأموال والأمن العام"[[41]](#endnote-41) وكما يتمثل في شخصية سيدنا رسول الله، ومن أجل بقاء هذه الرسالة وديمومتها وتصفيتها من عوارض الانحراف فلابد من وجود ورثاء محمديين حقيقيينن، وهم العلماء و"العلماء ورثة الأنبياء"[[42]](#endnote-42)، من أجل هذا يذكر الشريف ما أصاب الأمة من خلال علمائها من التراجع والخروج من دائرة هذه المسؤولية، أو الدوران في الحلقات المفرغة قائلا: "أن علماء الأمة العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين غائبون حاضرون، لا صوت لهم ولا حس يسمع، ولا رأي لهم يتبع، ذلك وهم أول المستهدفين من المهمة الاستعمارية الجديدة للعالم الإسلامي التي خلقت فجوة عميقة بين العلماء والسلطان وبين العلماء والجماهير المسلمة كما أدت إلى واقع انقطعت فيه الصلة بين آخر هذه الأمة وأولها"[[43]](#endnote-43). ولعل ما يقوم بقطع الطريق أمام هذه الحملة العدائية وسد هذه الفجوة الشرخة هو محاولة النظر إلى هذه الحلقات الغائبة وتمثيلها حسب مقتضيات الظروف والأحوال، وهي على النحو التالي:

**1- مؤسسية الأمة:**

نحن نعيش عصر المؤسسات والتجمعات و التكتلات، لكنها بقدر تجمعاتها بقدر خلقِ فجوات بين مؤسسات أخرى، بل قد تكون من داخل نفس النظام المؤسسي، ذلك لغياب مؤسسية الأمة أولا وأخيرا، غالبا ما تخدم هذه المؤسسات أصحاب النفوذ على حساب من دونهم، هذا ما يُحدث شططا بين الأنظمة الموحدة، وأما مؤسسية الأمة فتقوم على محاولة إيجاد قاسم مشترك بين أفراد الأمة والعمل معا لتحقيق هذه الغاية، كل حسب مؤهلاته وتوجهاته، هذا ما نجده واضحا في السيرة العطرة وعندما دخل سينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة أخذ يقول كما يقول عبد الله بن سلام قبل إسلامه "أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون جنة ربكم بسلام"[[44]](#endnote-44)، ثم آخى بين المسلمين مهاجرين وأنصارا وقامت على هذه المؤسسية كل الإنجازات التي تمت في عصر النبوة العطرة[[45]](#endnote-45).

**2- إنزال السيرة النبوية على الأحداث والمواقف وتقليله على الأشخاص:**

نعيش ظاهرة خطيرة جدا في محاولة إنزال بعض مواقف السيرة على الأشخاص، بل الأشخاص أنفسها تقوم بذلك لتبرير مواقفها المخالفة كثيرا لمواقف صاحب السيرة العطرة، على سبيل المثال قضية استشهاد فلان وعلان يقال كثيرا فلان شهيد كما استشهد نبي من الأنبياء أو صحابي من الأصحاب، و لعل الإخوة شاهدوا الفيديو القصير لشاب بوكو حرام المتداول على مواقع التواصل الاجتماعي حيث يقارن موقفه بموقف نبي من الأنبياء بكل أريهية، وفي بعض الأحيان يتخذ أحداث السيرة مطية للسخرة بها وعياذ بالله، ذكر الشريف ردا فظيعا عن نظرية (الله والنبي والعصا) وهو بصدد الحديث عن مشروعية الاحتفال بذكرى مولد سيدنا رسول الله وإظهار مكانته " ألست ترى أحدهم ينحط ذوقا وفقها وأداء وأدبا، فيفاخر بأن عصاه أفضل أو أنفع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره!! ويزيد سفاهة بأن يعمد إلى بعيره فيقسم عليه بالنبي أن ينهض - فطبعا لا ينهض البعير- فيضربه بالعصا فينتصب قائما، ثم يتخذ من هذه القضية الحيوانية الغبية حكما على القضايا افنسانية والسماوية"[[46]](#endnote-46)

**3- إيجاد أرضية مشتركة بين المسلمين وغيرهم لتقليل حدة العداوة:**

في السيرة النبوية مواقف واضحة تقرر هذا المبدأ الأصيل انطلاقا من العهد المكي وانتهاء بالعهد المدني، فقد تقرر سيدنا رسول الله في الإشادة ببعض الأخلاق الفاضلة لقومه المشركين دون أن يخالفهم في كل شيء كما دعاهم إلى تمحيص الحقائق الزائفة التي يتشبثون بها عن الله وعن تصديقه، ومن ذلك حلف الفضول يعرض الشريف حديثا رواه ابن اسحاق عن طلحة والبيهقي عن جبير بن مطعم رضي الله عنهما قال رسول الله" لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت"[[47]](#endnote-47)

**4- مراجعة فقه الناسخ والمنسوخ في السيرة:**

تعددت وجهات نظر العلماء عن الناسخ والمنسوخ ما بين غال ومعتدل وناف، بل حولت إلى معركة علمية مما أنتج صراعا في فهم الأحكام من القرآن والسنة فبالتالي تأثرت السيرة النبوية بهذا الناتج إيجابا وسلبا، وباستعراض سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته يمكن استنباط أربعة نماذج وهي نموذج مكة، ونموذج الحبشة، ونموذج المدينة في عهدها الأول، ونموذج المدينة في عهدها الأخير، وهي أسس التعايش مع ألآخر وهي بدورها ترسم السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمسلم، لهذا نبه الدكتور علي جمعة إلى" خطأ وقع فيه بعض الفقهاء، إذ نظرا إلى هذه النماذج على أن بعضها أو الأخير منها ينسخ المتقدم عليه، وهذا غير صحيح، لأن أحوال المسلم فردا وأحوال المسلمين مجتمعا تتغير وتتبدل، ولا يحرم المسلم من الاستفادة والاستهداء بهي تلك النماذج في حياته ومعيشه متمسكا بدينه محافظا على شعائره ممارسا لدعوته وفاعليته بدعوى النسخ المتوهم، الذي لا يدعمه دليل، لأن الله عز وجل أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لنا نهتدي به في جميع أحواله وأفعاله ومقاماته التي أقامه فيها ربه عز وجل"[[48]](#endnote-48)

**5- الاهتمام بمجالات الحياة دون القصر على مجالات التشريع والقوانين**

كثيرا ما يُردّد بأن الإسلام نظام متكامل يستجيب لمتطلبات الروح والمادة، بين الفرد والجماعة وبين المسلم وغيره وبين الثوابت والمتغيرات، وبين القرآن والعمران وبين الدنيا والآخرة، ويغيب تطبيق هذا المفهوم عندما يدخل المسلم في معترك الحياة، وذلك راجع لاهتمام العلماء بمجالات التشريع أكثر من غيره، حيث نتجت من هذا فكرة قد تكون خاطئة بأن القرآن والسنة مركزان شبه المطلق على أيات الأحكام وأحاديثها ولا تتجاوزهما، فذكروا 500 آيات هي للأحكام و1100حديثا للأحكام، دون النظر إلى سائر الآيات والأحاديث مما جعل المسلم يلغي حوالي ستة آلاف آية من القرآن ومئات الآلاف من الأحاديث متشبثا بآيات وأحاديث محدودة متعلقة بالحلال والحرام[[49]](#endnote-49)، والسيرة النبوية تقدم لنا هذين المصدرين بعد كونهما مصدرين للتشريع فهما كذلك مصدران للثقافة والحضارة والمعرفة والفكر منها مثلا العلوم العقلية والإنسانية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والطبية بالإضافة إلى العلوم الطبيعية وعلوم العمران وغيرها، ومن أهم النماذج إدارة المدينة المنورة فور هجرته إليها، وتنظيم الوارد الاقتصادي والطب والتمريض وتقنية الحرب والدفاع عن النفس[[50]](#endnote-50).

**6- إلغاء أحادية عرض السيرة النبوية:**

اعتاد بعض الأقلام على أحادية عرض السيرة النبوية الشريفة، فكوّن ذلك صورة جزئية لها لدى المتلقين واستصعب على أفكارهم تقبّل الجزئية المكاملة، مما أدى إلى التفريط والإفراط في التعامل مع بعض معطياتها، على سبيل المثل إثارة في كثير من ثنائيات السيرة بين حب سيدنا رسول الله واتباعه، وبين والسلم والحرب، وبين الرغبة والرهبة وبين الفرائض والسنن، وبين الروح والمادة، وبين القلب والعقل وغيرها، لهذا اهتم الشريف بعرض كثير من مشاهد السيرة وهي تحمل هذه الأبعاد ويقول في معرض الاعتداء " الاعتداء على دين المسلم حرام، والاعتداء على نفسه حرام والاعتداء عل ماله حرام والاعتداء على أطرافه حرام والاعتداء على بيئته وأرضه حرام"[[51]](#endnote-51)

7**- مشاريع تفعيل السيرة النبوية في نسيجنا الاجتماعي:**

الأمة الاسلامية بحاجة إلى تضعيف مجهوداتها في سبيل نشر الوعي بالسيرة النبوية ومحاولة تمثيله عمليا في نسيجها الاجتماعي بحيث تتحول أبجدياتها من السطور إلى السلوك، ومن العلم إلى العمل، ذلك من خلال تحويل مجالس ذكرى مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رسالة نبوية منظمة منضبطة تتوفر فيها الأدب والوقار، ونشر كتب السيرة المترجمة إلى لغات محلية وتسهيل الوصول إليها، وانعقاد ندوات وورش وتدريبات مكثفة عنها على مستوى فئة المجتمعات، وتأصيل كليات الدين والتدين بإرساء قيم التسامح بأبعاد المجتمعات الإنسانية لا على أساس الإسلام فقط، والسعي وراء إيجاد أرضية مشتركة بين المسلم وغيره، وإحياء قيم التناصح لكل مسلم، وإحياء ميراث العلم النبوي بإعداد المسابقات عنه وخاصة في ظل الأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية، وتقديم الدعم لطلاب العلم، وإحياء قيم صاحب السيرة وأخلاقه وغير ذلك.

**الخاتمة:**

قامت هذه الدراسة بقراءة كتاب "سيرة الرسول الأعظم" قراءة مستضيئة لأهم الضروريات التي تجعلنا نعود إلى السيرة النبوية العطرة لحل أزمات القرن الواحد والعشرين التي تتجلى في كل مرفق من مرافق الحياة، وقد تعرضت مقدمة الدراسة لمجمل منشأ هذه الأزمات ومحاولة أقلام الكتاب والمصلحين لتشخيصها ودور الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني في ذلك من خلال كتابه هذا، مع عرض يسير جدا لمحتوياته وطبيعته في سرد حقائق السيرة النبوية، وفي النقاط التي دارت حولها الدراسة، كيف نفهم السيرة النبوية، حيث ذكرت عدة معالم من خلالها نفهم هذه السيرة العطرية، ثم تعرضت لضرورة بعثة سيدنا رسول الله المتمثلة في التعليم وتصديق رسالة الأنبياء والدفاع عنهم وبيان تحريف كتبهم من قِبل أتباعهم ودور كتابه في تقديم خلاصة ما في كتبهم ورفع الحرج والأغلال التي على الأمم السابقة ووضع إصرهم، بصفته أقرب إنسان وبشر إلى رب العالمين فجعله أسوة وقدوة ومتبعا ومقتدى، ثم تطرقت إلى أزمات القرن الواحد والعشرين وعرض حلها من السيرة النبوية من خلال أزمات المسلمين الداخلية المتمثلة في الابتعاد عن المنظومة الروحية والعقلية والفكرية والنفسية، وضعف النسيج الاجتماعي لبناء الأمة، ثم الأزمات الخارجية الموضوعية التي جعل المسلمين متخلفين في الفاعل الحضاري وتغيير مسار المنظومات الغربية المتناقضة مع فطرة الإنسان، وأخيرا ذكرت بعض الأبعاد الغائبة عن السيرة النبوية وهي مؤسسية الأمة وإنزال السيرة على الأحداث والمواقف لا على الشخصيات، إيجاد أرضية مشتركة هادفة بين المسلم وغيره، ومراجعة فقه الناسخ والمنسوخ للسيرة، وإعادة فاعلية مجالات الحياة في السيرة لا التشريع فقط، إلغاء أحادية عرض السيرة وتفعيل مشاريع السيرة عمليا، هذا وقد تخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

* إن كتاب"سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم" من كتب السيرة التي تجمع بين موثوقية المصادر وطرافة عرض الأحداث وربطها بالواقع
* معالجة الكتاب لأبعاد الأزمات العالمية منطلقة من إرجاع الإنسان إلى فطرته التي هي الإسلام بمنظوماته المتعددة
* ما السيرة النبوية العطرة إلا سلوك عملي تطبيقي للقرآن الكريم بأجلى صوره وحقائقه ومعالمه
* إن غياب المسلمين عن دائرة قيادة العالم نتيجة ابتعادهم عن سيرة نبيهم العظيم أفرز للعالم أزمات مخيفة حيث تجعله ينهار من القواعد
* وإن ما يجعل السيرة النبوية ذا فاعلية في حل أزماتنا اليوم هي تحضير الأبعاد الغائبة عن تمثيل السيرة النبوية بصورة هادفة

**هوامش الدراسة:**

1. . إبراهيم بن عبد الله الرماح (الدكتور) الإنسانوية المستحيلة، إشكالية تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر، مركز دلائل:ص: 24 [↑](#endnote-ref-1)
2. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:1، مؤسسة السيادة للطباعة والنشر، أبوجا- نيجيريا، ط:1، 2017م ص:264 [↑](#endnote-ref-2)
3. . علي جمعة (أ،د) معنى السيرة النبوية وأهميتها، من موسوعة أ،د علي الجمعة موقع: www.draligoma.com [↑](#endnote-ref-3)
4. . المرجع نفسه [↑](#endnote-ref-4)
5. . رواه مسلم من حديث طويل [↑](#endnote-ref-5)
6. . انظر: علي جمعة (أ،د) معنى السيرة النبوية وأهميتها، من موسوعة أ،د علي الجمعة موقع: www.draligoma.com [↑](#endnote-ref-6)
7. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:1،ص: 263 [↑](#endnote-ref-7)
8. . انظر: المصدر نفسه:ص: 263- 284 [↑](#endnote-ref-8)
9. . رواه أبو داود [↑](#endnote-ref-9)
10. . طه جابر العلواني (أ،د) مختصر إشكالية التعامل مع السنة النبوية:ص: 40 [↑](#endnote-ref-10)
11. . انظر: ما قاله برناردشو الانحليزي، نقلا من موقع، www.youm7.com [↑](#endnote-ref-11)
12. . رواه الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين، [↑](#endnote-ref-12)
13. . انظر: طه جابر العلواني (أ،د) مختصر إشكالية التعامل مع السنة النبوية:ص: مرجع سابق: ص: 25-28 [↑](#endnote-ref-13)
14. . كولن، محمد فتح الله، النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، دار النيل، القاهرة 2004م، ص:19 [↑](#endnote-ref-14)
15. . انظر: طه جابر العلواني (أ،د) مختصر إشكالية التعامل مع السنة النبوية:ص: مرجع سابق: ص،29 [↑](#endnote-ref-15)
16. . الصلابي، علي محمد (الدكتور) السيرة النبوية: عرض ووقائع وتحليل أحداث، دار التوزيع والنشر الإسلامية،2001م، ج:1، ص:3 [↑](#endnote-ref-16)
17. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج: 4، ص:292 [↑](#endnote-ref-17)
18. . المصدر نفسه ج4: ص: 17 [↑](#endnote-ref-18)
19. . رواه البخاري ومسلم [↑](#endnote-ref-19)
20. . المصدر نفسه: ص:216، نقلا مما رواه البيهقي وغيره [↑](#endnote-ref-20)
21. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:1، مؤسسة السيادة للطباعة والنشر، أبوجا- نيجيريا، ط:1، 2017م ص:264 [↑](#endnote-ref-21)
22. . انظر: المصدر نفسه: ص:271 [↑](#endnote-ref-22)
23. . انظر: أبو حامد الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين [↑](#endnote-ref-23)
24. . رواه الترمذي والنسائي وابن حبان، جامع الأصول في أحاديث الرسول (ص) لابن الأثير، ج 2: 58 [↑](#endnote-ref-24)
25. . رواه ابن أبي الدنيا، عن عائشة بإسناد حسنه السيوطي ص: 18 [↑](#endnote-ref-25)
26. أخرجه البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك [↑](#endnote-ref-26)
27. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:1، مصدر سابق:ص: 271 [↑](#endnote-ref-27)
28. . المصدر نفسه: ج1، ص:274 [↑](#endnote-ref-28)
29. . المصدر نفسه: ج1، ص:275 [↑](#endnote-ref-29)
30. . المصدر نفسه:ج4، ص: 37 [↑](#endnote-ref-30)
31. . أخرجه أحمد في المسند وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح [↑](#endnote-ref-31)
32. . أخرجه مسلم [↑](#endnote-ref-32)
33. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:3، مصدر سابق:ص: 235 [↑](#endnote-ref-33)
34. . رواه البخاري [↑](#endnote-ref-34)
35. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:3، مصدر سابق:ص: 304 [↑](#endnote-ref-35)
36. . انظر: المصدر نفسه:ج 4، ص43، [↑](#endnote-ref-36)
37. . انظر: المصدر نفسه: ج4، ص 133 [↑](#endnote-ref-37)
38. . انظر: علي جمعة (أ،د) التعايش مع الآخر في ضوء الشيرة النبوية: الأسس والمقاصد، شركة بروج، القاهرة، ط:1، ص:144-145 [↑](#endnote-ref-38)
39. . انظر: الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:4، مصدر سابق:ص: 37 [↑](#endnote-ref-39)
40. . المصدر نفسه: ص: 17 [↑](#endnote-ref-40)
41. . المصدر نفسه ج3:ص:294 [↑](#endnote-ref-41)
42. . رواه أبو داود والترمذي [↑](#endnote-ref-42)
43. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:3،ص:295 [↑](#endnote-ref-43)
44. . رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي [↑](#endnote-ref-44)
45. . انظر: الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:4، ص [↑](#endnote-ref-45)
46. . الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج:1، ص:113 [↑](#endnote-ref-46)
47. . المصدر نفسه: ص: 223 [↑](#endnote-ref-47)
48. . علي جمعة (الدكتور) التعايش مع الآخر في ضوء السيرة النبوية، مرجع سابق: ص:10-11 [↑](#endnote-ref-48)
49. . طه جابر العلواني(الدكتور) الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، دار الهادي،ص:83 وما بعدها [↑](#endnote-ref-49)
50. . انظر: الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ج: [↑](#endnote-ref-50)
51. . انظر: المصدر نفسه: ج3، 331 [↑](#endnote-ref-51)